جهود محمود شاكر في تحقيق النّصوص

(تفسير الطّبري أنموذجا)

Title in English Mahmoud Shaker's efforts in reviving heritage (The tafsir of Tabari as a model)

أ.حاج بنيرد

جامعة مولود معمري–تيزي وزو (الجزائر)، الإيميل المهني: hbennaired@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/25 تاريخ القبول: 2020/06/22 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص: البحث هو استقراءٌ وتتبّعٌ لمناهج المحقّقين في تحقيق النّصوص والمخطوطات عرضا وتحليلا ونقدا، وبيان جهودهم في إحياء التّراث وبالتّالي ربط الأمّة بماضيها وتراثها للانطلاق في بناء مستقبلها وإحياء أمجادها وحضارتها، وكان الجانب الأخلاقيّ والشّعور بالواجب الحضاريّ تجاه الأمّة هو الدّافع الأساس للرّعيل الأوّل من المحقّقين العرب نحو المخطوطات دراسة وتحقيقا ونشرا، أمثال عبد السّلام هارون ومحمود شاكر وأحمد شاكر وابن الخوجة ومحمّد بن أبي شنب في الجزائر وغيرهم، وركّزنا في هذا البحث على العلّامة محمود شاكر، فذكرنا بعض الكتب الّتي حقّقها، وعلى رأسها (تفسير ابن جرير الطّبري)، وبالنّظر في مميّزات هذا التّفسير يتبيّن لنا قيمة الجهد الكبير المبذول فيه، باعتبار ضخامة حجمه، وأيضا باعتبار النّسخ الرّديئة الّتي اعتمدها، يُضاف إليها الطّبعات الرّديئة والنّاقصة الّتي سبقته، ومن ذلك أيضا أنّه كان يتتبّع النّصوص الواردة فيه في التّفاسير الّتي جاءت بعده، باعتبار تفسير الطّبريّ مصدرا رئيسيّا للتفاسير الّتي جاءت بعده، وخاصّة تفسير "الدّرّ المنثور" لجلال الدّين السّيوطي، وتفسير "فتح القدير" للشّوكاني، ناهيك عن تخريج المدوّنة الشّعريّة والمادّة اللّغوية الموجودة فيه، وقد تجاوزت ألفي بيت شعريّ؛ توثيقا وشرحا، وقد أعانه أخوه أحمد شاكر في تخريج الأحاديث النّبويّة في بعض منه، إضافة إلى التّرقيم ووضع الفهارس الفنيّة وغيرها.

كلمات مفتاحية: تحقيق النّصوص، جهود، محمود شاكر، تفسير الطبريّ، التّراث.

Abstract:
The research is an extrapolation of the investigators' methods in achieving texts and manuscripts in a presentation, analysis and criticism. The manuscripts are a study, an investigation and a publication, such as Abdulsalam haroun, Mahmoud Shaker and Ahmed Shaker, Ibn lkhouja and Mohammed bin Abi Shanab in Algeria and others. Considering the merits of this interpretation, we find the value of the great effort exerted, considering the magnitude of its size, and also the bad copies it adopted, in addition to the bad and incomplete editions that preceded it, and also that it was tracing the texts contained in the explanations that followed. As the interpretation of Tabari, a major source of interpretations that came after him, especially the interpretation of the "Ad-dor al-manthour" of Jalal al-Din al-Suyuti, and the interpretation of the "Fateh al-Qadeer" of Shokani, not to mention the graduation of the poetic blog and the linguistic material contained therein, and has exceeded two thousand verses; Khuh Ahmad Shaker in the graduation of the hadith in some of it, in addition to the numbering and the development of technical indexes and others.
Keywords: Scripting, Efforts, Mahmoud Shaker, Tabari Tafseer, Heritage.

[1]**المؤلف المرسل**: حاج بنيرد، **الإيميل**: hbennaired@gmail.com

1. مقدمة:

لقد تعرضت شخصية الشيخ محمد محمود شاكر (ت1418هـ/ 1997م) للعديد من الدّراسات والأبحاث، منها: محمود إبراهيم الرضواني" شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق"، أو في كتاب" دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهر"، (آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية) رسالة ماجستير من إعداد محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان بجامعة أم القرى سنة 1430هـ، وقد كان هو وابن خالته عبد السلام هارون من أقطاب فن التحقيق، وكانت بداية اهتمامه بالشعر الجاهلي، وازداد اهتمامه به بعد اصطدامه مع آراء طه حسين في الأدب الجاهلي، وكان بيته مكانا لندوات أدبية وفكرية ينشطها العلماء والمثقفون، وألقى العديد من المحاضرات في الشعر الجاهلي وغيره في

عدة نواد وجامعات، ونال عدة جوائز أبرزها جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1983م، وقد حقق الكثير من الكتب؛ منها:

- فضل العطاء على العسر لأبي هلال العسكري.
- إمتاع الأسماع بما للرّسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي.
- المكافأة وحسن العقبى، لأحمد بن يوسف بن الدّاية.
- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري، صدر منه ستة عشر مجلّدا ما بين عامي 1955م و1966م بدار المعارف، وقد اشترك مع أخيه أحمد في الثلاثة عشر مجلّدا الأولى، وانفرد بالثّلاثة الأخيرة، وصل فيه إلى سورة إبراهيم الآية 27. وهذا الكتاب قد هذبه بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، وطبع بمؤسسة الرسالة ببيروت سنة 1994م، وحققه أيضا عبد الله بن عبد المحسن التّركي في ستّة وعشرين مجلّدا، وطبع بدار هجر سنة 2001م. طبع هذا الكتاب في ثلاثين جزءًا في أحد عشر مجلدا، وكانت الطبعة الأولى سنة 1323هـ بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق في مصر كما طبع في ثلاثين جزءًا كبيرًا مرتين بشركة مصطفى البابي الحلبي. كانت الثانية منهما سنة "1371هـ - 1954م" ثم شرع الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر -مد الله في عمره- بتحقيق هذا الكتاب العظيم تحقيقا علميا دقيقا، بعد أن تبين له أن ما طبع من تفسير الطبري كان فيه خطأ كثير وتصحيف وتحريف، وأن من نقل عنه من القدامى تخطوا بعض تلك التصحيفات، فتبين له أن التصحيف قديم في المخطوطات، فرأى من الواجب أن يصدر هذا التفسير وينشر على وجه علمي دقيق، فتولى النظر في أصوله المخطوطة والمطبوعة، وراجعه على كتب التفسير التي نقلت عنه وصحح نص الكتاب وعلق عليه، وبين ما استغلق من عبارته. وشرح شواهده الشعرية، ولم يَأْلُ جهدا في خدمة الكتاب والرجوع إلى كل مصدر يساعد على تقويم العبارة وتصحيح النص، وما يلحق بهذا كما رجع إلى المصادر الأساسية في الأمور اللُّغَوِيَّة والنَّحْوِيَّة.. وغير ذلك، وبين طريقة الطبري في الاستدلال ببعض الروايات عن أهل التوراة

والإنجيل، وأنه لم يعتمد ذلك لتهيمن على كتابه، بل لم تَعْدُ مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة أو للدلالة على سياق جملة وألحق بكل جزء من أجزاء الكتاب عدة فهارس تسهل الرجوع إليه والاستفادة منه، وقد شارك الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله أخاه الأستاذ محمود في خدمة هذا الكتاب فنظر في أسانيده، وخرَّج أحاديثه وراجع بعض أجزائه، وبهذا العمل قدَّما خدمة للمكتبة الإسلامية وللمسلمين ينوء بعبئها غيرهما جزاهما الله خير الجزاء وقد صدر من الكتاب من سنة 1374 حتى 1389هـ أربعة عشر جزءا ضخما "حتى آخر سورة التوبة"، وصدر بعدها الجزآن 15و 16، سدد الله خطوات الأستاذ محمود وأعانه على إتمام ما بدأ به[1].

- جمهرة نسب قريش، للزّبير بن بكار.
- تهذيب الآثار وتفضيل الثّابت عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– من الأخبار، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني.
- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني.

وراجع كتب محققة مثل كتاب (الوحشيات)، وهو الحماسة الصغرى، لأبي تمام، حققه عبد العزيز الميمني، وكتاب شرح أشعار الهذليّين، لأبي سعيد الحسين بن الحسين السّكّري، حققه عبد السّتّار أحمد فرّاج.

2. كتاب تفسير الطّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): سنعرض بإيجاز لأهمية تفسيره الطّبري ومكانته، وبعض مزاياه وبعض مآخذه، وشيئا من منهج الطّبريّ فيه، وصعوبة أسلوبه وضخامة حجمه ورداءة نسخه المخطوطة والمطبوعة؛ لنتبيّن مدى صعوبة تحقيقه، والجهد الّذي بذله العلّامة محمود شاكر في تحقيقه ودراسته وتصويبه وإعداد الفهارس الفنّيّة له.

2. 1 حول تفسير الطّبري:

وجدنا أنّ هذا التفسير العظيم قد أخذ شهرة واسعة، وتقديرا عظيما من كبار العلماء عند ظهوره حتى ليقول أبو حامد الإسفرايني المتوفى سنة 406 هـ- 1015 م عنه: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا"، وقال عنه ابن تيمية: "وأما التفاسير التي بين أيدي الناس فأصحّها تفسير محمد بن جرير الطبري"، وقال عنه: "وهو من أجلّ التّفاسير وأعظمها قدرا"[2]، وقال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري"، وقال عنه السيوطي: "وكتابه- يعني تفسير ابن جرير- أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين"[3] أقول إن هذا التفسير على عظمته اندثر ونامت نسخه في بعض المكتبات الخاصة .. فمرت قرون وهو مندثر، دون أن يعرفه أحد، اللهم إلا بعض نماذج، وورقات مبعثرة، كانت تشير إليه، وتثير تلهف العلماء عليه .. حتى نجد المستشرق "نولدكه" يكتب في سنة 1860 م بعد أن اطلع على نماذج من هذا التفسير، "لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغني عن كل كتب التفسير المتأخرة عليه، ولكنه يبدو للأسف. مفقودا بالكلية، ولقد كان مثل كتاب التاريخ الكبير لنفس المؤلف نبعا لا ينضب استمد منه المتأخرون حكمتهم[4]. كان الطبري في نيته أن يكون تفسيره أوسع مما كان، ولكنه اختصره استجابة لرغبة طلابه، فابن السّبكي يذكر في طبقاته الكبرى أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ربما تفنى الأعمار قبل تمامه. فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال قبل ذلك في تاريخه. ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير[5].

– ويبدو أنّ تفسير الطّبري اهتمّ به علماء اللّغة، وتتبّعوا عباراته ومفرداته، فظهر صحّته وسلامته من جهة اللّغة والنّحو، فضلا عن أسبقيته في صحة الرّواية والدّراية، فهذا أبو عم الزاهد غلام ثعلب يقول فيه: "قابلتُ هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، فما وجدتُ فيه حرفاً خطأ في نحو أو لغة"، ويستصعب محمود شاكر تحقيق الكتاب بعد اطّلاعه على هذه العبارة فيقول: "وأنّى لمثلي أن يحقّق كلمة أبي عمر في كتاب أبي جعفر!"[6].

– وقد عُثر له على نسخة مخطوطة كاملة كما يقول جولدتسيهر في مكتبة الأمير حائل، وأمكن الاعتماد عليها في طبعه بالقاهرة في أوائل القرن العشرين.

2.2 من منهج الطبري في تفسيره:

تفسير الطبري من أجل التفاسير بالمأثور وأعظمها قدرا، ذكر فيه ما روي في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأتباعهم، وكانت التفاسير قبل ابن جرير لا يذكر فيها إلا الروايات الصرفة، حتى جاء ابن جرير فزاد توجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، وذكر الأعاريب والاستنباطات والاستشهاد بأشعار العرب على معاني الألفاظ، كما أنه من أهم المصادر في التفسير بالمعقول؛ لما فيه من الاستنباطات العلمية الدقيقة، وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض؛ مما يدل على حسن النظر وعمق البحث[7].

– وطريقته في التفسير أنه يلخص الأقوال التي قيلت في تفسير الآية، ثم يذكر بعد كل قول الروايات التي رويت فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين، ثم يروي الروايات التي قيلت في القول الثاني ثم الثالث، وهكذا حتى يستكمل الأقوال والروايات، ثم يرجح ما يراه ويستدل عليه ويرد الأقوال المخالفة.

2. 3 ولتفسير الطّبري ميزات (مزايا ومآخذ)[8]:

فمن مزاياه:

– الالتزام بأحسن طرق التفسير من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، وتابعيهم.

– جمع أقوال أعلام المفسرين من السلف والاحتفاظ بخلاصة تفاسير مأثورة سابقة، فقدت، وضاعت أصولها.

– ذكر أسانيد الروايات المأثورة ولو تعددت طرقها، وهذا ضروري للحكم على هذه الأحاديث، ولو لم يذكر الأسانيد ما أمكن ذلك.

– جمعه بين الأثر والنظر، والمنقول والمعقول.

– ذكر أقوال المخالفين وأدلتهم، وهذا من الإنصاف والموضوعية.

– ترجيح الراجح من الأقوال في تفسير الآية، وذكر أسباب الترجيح، وعدم ترك القارئ حيران في متاهات الاختلاف.

– تقرير قواعد وأسس التفسير المنهجية، سواءً في بداية تفسيره أم في أثنائه.

وأمّا المآخذ عليه فمنها:

– عدم نقد الروايات والطرق والأسانيد التي يوردها، وعدم الحكم عليها.

– الخوض في (مبهمات القرآن) ومحاولة تفسيرها من الإسرائيليات التي لم تصح.

– عدم إسناد القراءات إلى أصحابها من القراء المشهورين وعدم التمييز بين الصحيح والشاذ.

وجود الجمل الكثيرة المعترضة في الصياغة مما يكلف القارئ (في) إعادة الضمائر في الجمل، وربط الجمل بعضها ببعض.

3. تحقيق تفسير الطّبري:

3. 1 نسخ محمود شاكر: ويقول العلامة الأستاذ محمود شاكر في مقدمته الّتي كتبها لهذا التفسير الّذي حققه وعلق عليه هو وأخوه العلامة المحدث المرحوم الشيخ أحمد شاكر "والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبري لا تكاد توجد، والذي منها في دار الكتب (المصرية) أجزاء مفردة من الجزء الأول، والجزء السادس عشر، ومنها مخطوطة واحدة كانت في خمسة وعشرين مجلدا، ضاع منها الجزء الثّاني والثالث، وهي قديمة غير معروفة التّاريخ، وهى على ما فيها تكاد تكون أصح النسخ وهى محفوظة بالدار تحت رقم 100 تفسير"[9].

– لقد قام المحققان مشكورين بتخريج الروايات الّتي وردت فيه، وهذا أمر مهم جدا للقارئ .. وبتحقيق الألفاظ، ونسبة الأشعار، والأقوال إلى أصحابها، والمراجعة على النسخ الخطية والمطبوعة، وأهم من ذلك فتح مغاليق الجمل، بما عنا به من ترقيم وفواصل، وذلك لكثرة ما جاء في كلام الطبري من جمل اعتراضية استطراديّة، وفواصل طويلة، تعرقل القارئ عن متابعة القراءة، أو تحول بينه وبين الفهم الصّحيح.

3. 2 منهجه في التحقيق: صعوبة أسلوب الطّبري فتح المجال واسعاً لتميّز محمود شاكر في تحدّي المشاقّ والتّفرّد بفهم أسلوب الطّبري؛ إذ يقول محمود شاكر: "بيد أني كنت أجد من المشقة في قراءته ما أجد كان يستوقفني في القراءة كثرة الفصول في عبارته، وتباعد أطراف الجُمَل، فلا يسلم لي المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً، وكان سبب ذلك أننا ألفنا نهجاً من العبارة غير الذي انتهج أبو جعفر، ولكن تبيّن لي أيضاً أن قليلاً من الترقيم في الكتاب خليقٌ أن يجعل عبارته أبينَ، فلما فعلت ذلك في أنحاء متفرقة من نسختي، وعُدْتُ بَعْدُ إلى قراءتها، وجدتها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقّة ... فتمنّيت يومئذ أن ينشر هذا الكتاب الجليل نشرة صحيحة محققة مرقمة، حتى تسهل قراءتها على طالب العلم، وحتى تجنبه كثيراً من الزلل في فهم مراد أبي جعفر"[10].

– وهناك سبب آخر دعا إلى نشره وتحقيقه وهو "أن ما طبع من تفسير أبي جعفر، كان فيه خطأ كثير وتصحيف وتحريف"[11]، وهذا شيء متوقّع لما تقدّم من صعوبة أسلوب الطّبريّ في تفسيره وخروجه عن النّمط المعروف، أو لتقدّم زمانه وخصوصيّة الأسلوب والتّأليف.

– وقد عقد محمود شاكر رحمه الله عزمه على نشر هذا الكتاب نشرة علمية بعد أن رأى الحاجة ماسةً، ورغبة في التقرب إلى الله حيث قال: "فأضمرت في نفسي أن أنشر هذا الكتاب، حتى أؤدي بعض حق الله عليَّ، وأشكر به نعمة أنالها – أنا لها غير مستحق – من رب لا يؤدي عبد من عباده شكر نعمة ماضية من نعمه، إلا بنعمة منه حادثة توجب عليه أن يؤدي شكرها، هي إقداره على شكر النّعمة التي سلفت، كما قال الشافعي رضي الله عنه"[12].

– ويُشير العلامة أحمد شاكر إلى صعوبة تحقيق الكتاب، وإلى أهلية أخيه محمود وأسبقيته في الاضطلاع بهذا العمل الشاق؛ فيقول: "وكنت أخشى الإقدام على الاضطلاع بإخراجه وأُعظمه، عن علم بما يكتنف ذلك من صعوبات، وما يقوم دونه من عقبات، وعن خبرةٍ بالكتاب دهرا طويلا: أربعين سنة أو تزيد. لولا أن قوّى من عزمي، وشدّ من أزري، أخي الأصغر الأستاذ محمود محمّد شاكر. وهو فيما أعلم خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء، وأن يقوم بهذا العمل حقّ القيام، أو قريبا من ذلك، لا أعرف أحداً غيره له أهلا"[13].

– **وكان لقول أبي جعفر الطّبري**: "إنّي لأعجب ممّن يقرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذّ بقراءته" أثر كبير في صبره على تحقيق الكتاب، فكان يستشعر ثقل أمانة هذا العمل، مستصحبا إيمانه العميق بأهمية إحياء التّراث، وخاصّة التّفسير، ومستحضراً قول الطّبري السّابق أثناء كلّ ذلك؛ حيث يقول: "ومنذ هداني الله إلى الاشتغال بطلب العلم، وأنا أصاحب أبا جعفر في كتابيه: كتاب التّفسير، وكتاب التّاريخ. فقرأتُ تفسيره صغيرا وكبيرا، وما قرأته مرّة إلّا وأنا أسمع صوته يتخطّى إليّ القرون: إنّي لأعجب ممّن يقرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذّ بقراءته؟ فكنت أجد في تفسيره مصداق قوله –رضي الله عنه–، بيد إنّي كنت أجد من المشقّة في قراءته ما أجد"[14].

3.3 منهجه في التّحقيق والنّشر:

– تم التحقيق بالمشاركة مع شقيقه الأكبر العلامة المحدث أحمد محمد شاكر رحمه الله بحيث يقوم الشيخ أحمد شاكر بدراسة الأسانيد والحكم عليها من حيث الصّناعة الحديثية، ويقوم محمود شاكر بالباقي: مقابلة النسخ المخطوطة والمطبوعة، وتحقيق النص، ومراجعته على كتب التّفسير الّتي نقلت عنه، وتخريج الأقوال والشّواهد الشّعرية وشرحها، ووضع علامات الترقيم وتفصيله، وضبط النص وما يتعلق بذلك من شرح غريب ونحو ذلك.

– جعل النّسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم 100، أصلا لنشر هذا الكتاب، أما سائر النّسخ المخطوطة الأخرى فهي سقيمة رديئة، لم تنفع في قليل ولا كثير، فضلا على أنّها قطع صغيرة[15].

– لذلك لجأ إلى مراجعة ما في تفسير الطبري من الآثار على كتاب الدر المنثور للسيوطي وفتح القدير للشّوكاني، لأنهما يكثران النقل عن الطبري، وهذا لتصحيح النّص المحقق والتّثبّت منه، وهو بهذا عمل يدلّ على ذكاء كبير وجهد مضن، فالبحث عن النّص الأصلي عند ندرة النّسخ، أو فقدانها، أو استحالة قراءتها، بالرّجوع إلى المظانّ التّي صرّحوا فيها بنقل النّصّ المراد تحقيقه متعيّن على المحققين للوصل إلى النّصّ المفقود.

– الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لم يقتصر على نقل الآثار، بل نقل بعض كلام أبي جعفر الطبري بنصه في مواضع متفرقة، وكذلك نقل أبو حيان في البحر المحيط، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن في مواضع قليلة من تفسيرهما، فقام بمقابلة المطبوع والمخطوط من تفسير الطبري على هذه الكتب. ولكن محمود شاكر رأى أنّ الاستمرار على هذا النّهج يطيل الكتاب على غير جدوى فبدأ منذ الجزء الثاني يغفل ذكر المراجع إلا عند الاختلاف، أو التّصحيح، أو غير ذلك مما يوجب بيان المراجع، ليسهّل مهمّته وليخفّف على القارئ في الهوامش والحواشي.

– وما يُلاحظ أنّ المحقّق محمود شاكر قام بجهدٍ منقطع النّظير في تتبّع نصوص تفسير الطّبري في التّفاسير الّتي أتت بعده، إمعانا في شدّة التحقيق والتّثبّت من صحّة نصوصه، لأنّه لاحظ أنّ الطبعات القديمة للكتاب لا تخلو من تصحيف وتحريف ونحوها، فتتبّع نصوص الطبري في التفاسير جعله يتأكّد من أنّ التّصحيف والتّحريف الوارد في كثير من نصوصه هي قديمة؛ إذ يقول: "ولكن تبيّن لي على الزّمن أنّ ما طبع من تفسير أبي جعفر، كان فيه خطأ كثير وتصحيف وتحريف، ولما راجعت التّفاسير القديمة الّتي تنقل عنه، وجدتهم يتخطّون بعض هذه العبارات المصحّفة أو المحرّفة، فعلمت أنّ التّصحيف قديم في النّسخ المخطوطة..."[16].

– اعتذر محمود شاكر لناشري الطّبعات الأولى لتفسير الطّبري عن كثرة أخطائه وتصحيفاته وتحريفاته الواردة في هذه الطّبعات؛ بأنّه كتاب ضخم، ورداءة نسخه المخطوطة، وهو ما يتطلّب جهدا مضاعفا بالاطّلاع على مئات الكتب الّتي تحوم حوله؛ حيث يقول: "وكان للّذين طبعوه عذرٌ قائم، وهو سقم مخطوطاته الّتي سلمت من الضّياع، وضخامة الكتاب، واحتياجه إلى مراجعة مئات من الكتب، مع الصّبر على المشقّة والبصر بمواضع الخلل"[17].

– ومحمود شاكر بهذا يبرّر سبب عزمه على تحقيق الكتاب تحقيقا دقيقا حصيفا، ويستحضر أيضا جسامة المهمّة وعظمها، ويتصبّر باحتساب الأجر والثّواب، وعظم هذا العمل في ميزان الحسنات يوم القيامة؛ فيقول: ".. فأضمرت في نفسي أن أنشر هذا الكتاب، حتّى أؤدّي بعض حقّ الله عليّ، وأشكر به نعمة أنالها –أنا لها غير مستحقّ– من ربّ لا يؤدّي عبدٌ من عباده شكرَ نعمة ماضية من نعمه، إلا بنعمة منه

حادثة توجب عليه أن يؤدّي شكرها، هي إقداره على شكر النّعمة الّتي سلفت؛ كما قال الشّافعي –رضي الله عنه–"[18].

– قام بمراجعة كثير مما في التفسير من الآثار ، على سائر الكتب التي هي مظنة لروايتها ، وبخاصة تاريخ الطبري نفسه ، ومن في طبقته من أصحاب الكتب التي تروي الآثار بالأسانيد. وقد استطاع المحقق أن يحرر أكثر هذه الآثار في التفسير تحريراً حسناً مقبولاً.

– ما تكلم فيه الطبري من مسائل اللغة والنحو، فقد راجعه على أصوله مثل (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، و(معاني القرآن) للفراء وغيرهما ممن يذكر أقوال أصحاب المعاني من الكوفيين والبصريين[19].

– شواهد تفسير الطبري الشعرية من أبرز ما في التفسير، وهي تزيد على ألفي شاهد (2000) شعري، وقد قام المحقق رحمه الله بتتبع شواهده في دواوين العرب، ونسب ما لم يكن منسوبا، وشرحها شرحاً جيداً، وحقق ما يحتاج إلى تحقيق من قصائدها، ملتزماً في ذلك الاقتصار حسب الاستطاعة.

– واحتاج أن يدافع عن الطّبري في استشهاده بنصوص الإسرائيليات، وأنّه كان عارفا بحجم هذه الرّوايات، اجتهد محمود شاكر في البحث عن مقالات الطّبري حولها، وأنّ إسنادها لا تقوم به حجّة في دين الله، ولا في تفسير كتابه، وأنّ استدلاله بها كان يقوم مقام الاستشهاد بالشّعر القديم كفهم كلمة، أو للدّلالة على سياق جملة.

– وكان محمود شاكر ينوي أن يُفرد كتابا في بيان جهود الطّبري في تفسيره ومنهجه وأسلوبه ولمساته، لكننا لا نعلم أنّه قد أنجزه.

– ظهر للمحقق رحمه الله كما قال أثناء مراجعاته أن كثيراً ممن نقل عن الطبري، ربما أخطأ في فهم مراد الطبري، فاعترض عليه، لما استغلق عليه بعض عبارته. فقام بتقييد بعض ما بدا له خلال التعليق، ولكنه لم يستوعب ذلك مخافة الإطالة.

– الطبري رحمه الله في تفسيره يكثر من ترداد مصطلحات النحاة القديمة التي استقر الاصطلاح على خلافها، فقام المحقق بتتبع هذه المصطلحات، وقام بوضع فهرس خاص بالمصطلحات النحوية في آخر كل جزء من الأجزاء التي قام بتحقيقها.

– كان المحقق يحب أن يبيّن ما انفرد به الإمام الطبري من الآراء في تأويل بعض الآيات، ويشرح ما أغفله غيره من المفسرين، ولكنه لم يفعل حيث خشي الإطالة مع أهمية هذا الأمر وفي هذا دعوة للباحثين الجادين للقيام على هذا الأمر الذي أراه من المباحث المهمة في حقل الدّراسات القرآنية.

– أمّا منهجه في وضع الفهارس فقد كان ينوي ترك الفهارس حتى نهاية التفسير، ولكنه رأى الكتاب كبيراً، وحاجة الناس إلى مراجعة بعضه على بعض، وربط أوله بآخره فآثر أن يفرد لكل جزء فهارسه الخاصة في نهايته فكانت على هذا النّحو[20]:

– فهرسا للآيات التي استدل بها الطبري في غير موضعها من التفسير. فإن الطبري ربما ذكر تفسيراً للآية في هذه المواضع لم يذكره عند تفسيره للآية في موضعها من التفسير والذي هو مظنة ذلك القول.

– فهرساً لألفاظ اللغة، لأن الطبري كثير الإحالة على ما مضى في كتابه، وليكون هذا الفهرس مرجعاً لكل اللغة التي رواها الطبري، وكثير منها مما لم يرد في المعاجم، أو جاء بيانه عن معانيها أجود من بيان أصحاب المعاجم.

– فهرسا لمباحث العربية، لأن الطبري كثيراً ما يحيل على هذه المواضع، ولما فيها من النفع لقارئ التفسير.

– فهرساً خاصاً بالمصطلحات النحوية القديمة التي استقر الاصطلاح على غيرها، وهي كثيرة التكرار في تفسير الطبري.

– فهرسا للرّجال الذين تكلم عنهم العلامة أحمد شاكر في المواضع المتفرقة من التفسير.

– فهرسا عامّا اقتصر فيه على سوى ما ذكر في الفهارس المتقدمة.

– لم يقم المحقق بعمل فهارس للشواهد الشعرية في نهاية كل جزء حيث قد عزم على صنع فهرس عام للأشعار التي وردت في التفسير عند تمامه على نمط اختاره لصناعته، وكذلك فهرس أسانيد الطبري، وفهرس الأعلام، وفهرس الأماكن، وفهرس المعاني، والفهارس الجامعة لما أفرده من الفهارس في كل جزء. كل ذلك لم يتم لأنه لم يصل إلى الموعد الذي وعد بها عند بلوغه، رحمه الله.

– وقد قام المحقق بترقيم الآيات وأثبتها في رأس الصفحة فما على الباحث إلا معرفة رقم الآية من السورة المرادة ثم طلبها في أعلى الصفحة من الجزء المراد فيجد في أعلى الصفحة مثلاً(البقرة: 140) أي آية 140 من سورة البقرة وهكذا.

– وقد استمر العمل في تحقيق الكتاب بداية من عام 1374هـ وتم إصدار ثلاثة عشر جزءاً حتى عام 1377هـ حيث توفي العلامة أحمد شاكر رحمه الله في نهاية شهر ذي القعدة عام 1377هـ ، وقد عبر عن ذلك محمود شاكر في مقدمة الجزء الثالث عشر فقال: "وبعد: ففي الساعة السادسة من صبيحة يوم السّبت السّادس والعشرين من ذي القعدة سنة 1377(14 يونيه سنة 1958م) قضى الله قضاءه بالحق، فألحق بالرفيق الأعلى أخي وشقيقي السّيّد أحمد محمد شاكر، مودعاً بالدّعاء، محفوفاً بالثّناء"[21].

ثم صدر الجزء الرابع عشر سنة 1378هـ والجزء الخامس عشر سنة 1380هـ والجزء السادس عشر والأخير سنة 1388هـ وتوقف عن الآية رقم 28 من سورة إبراهيم.

ويعود سبب توقف محمود شاكر عن الاستمرار في التّحقيق هو خلاف نشأ بينه وبين دار المعارف الّتي قامت على نشر الكتاب فيما ذكر من تحدث عنه وترجم له مؤخراً [محمود محمد شاكر لعمر القيَّام ص 67]، وقد توفي الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله عام 1418هـ ولم يتم تحقيق الكتاب إلى الآن، وقد ترك رحمه الله فراغاً كبيراً في الثقافة الإسلامية بعامة فقد كان يمثل منهجاً كاملاً قل من يقوم به بعده مع أن هناك تلامذة مخلصون من تلاميذه من أمثال الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد أبو موسى هم من خيرة من ترك من التلاميذ قدرةً على قراءة التراث الإسلامي، وتذوقاً له، ولكن لم يبلغوا شأوه رحمه الله ولا أظنّهم يزعمون ذلك.

– كان محمود شاكر أن يبيّن ما انفرد به الطّبري عن سائر المفسّرين في تعليقاته، وذلك طبعاً لأنّه قابل بين نصّ الطّبري ونصوص غيره من المفسّرين، وكان يقصد أن يبيّن منهج الطّبري في تفسيره ولمساته فيه، ولكنّه اعتذر بأنّ ذلك سيؤدّي إلى طول الكتاب طولاً زائدا على طوله فينفر النّاس من قراءته.

– وقد عمل على تحقيق هذا الكتاب كاملاً في دار هجر بالقاهرة بالتعاون مع معالي الشيخ عبد الله التركي وفقه الله، وسوف يخرج في خمسة وعشرين مجلداً. (مقدمة تحقيق البداية والنهاية لابن كثير للدكتور عبد السيد حسن يمامة) ولعله بهذا قد نشر كاملاً نشراً علمياً متقناً كما تعودنا من دار هجر التي عنيت

مؤخراً بإخراج نفائس الكتب المطولة كالمغني والبداية والنهاية وغيرها. انتهت المقالة المنشورة. وقد صدر تفسير ابن جرير مؤخراً ولله الحمد، ويوزعه مكتب الشّيخ عبد الله التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بالرياض، كما يباع في المكتبات التّجارية.

4. خاتمة:

– لقد تعرضت شخصية الشيخ محمد محمود شاكر (ت1418هـ/ 1997م) للعديد من الدّراسات والأبحاث، منها: محمود إبراهيم الرضواني" شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق"، أو في كتاب" دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهر"، (آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية) رسالة ماجستير من إعداد محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان بجامعة أم القرى سنة 1430هـ، وقد كان هو وابن خالته عبد السلام هارون من أقطاب فن التحقيق، وكانت بداية اهتمامه بالشعر الجاهلي، وازداد اهتمامه به بعد اصطدامه مع آراء طه حسين في الأدب الجاهلي، وكان بيته مكانا لندوات أدبية وفكرية ينشطها العلماء والمثقفون، وألقى العديد من المحاضرات في الشعر الجاهلي وغيره في عدة نواد وجامعات، ونال عدة جوائز أبرزها جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1983م، وقد حقق الكثير من الكتب؛ أبرزها (تفسير الطّبري).

– تفسير الطبري من أجل التفاسير بالمأثور وأعظمها قدرا، ذكر فيه ما روي في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأتباعهم، وكانت التفاسير قبل ابن جرير لا يذكر فيها إلا الروايات الصرفة، حتى جاء ابن جرير فزاد توجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، وذكر الأعاريب والاستنباطات والاستشهاد بأشعار العرب على معاني الألفاظ، كما أنه من أهم المصادر في التفسير بالمعقول؛ لما فيه من الاستنباطات العلمية الدقيقة، وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض؛ مما يدل على حسن النظر وعمق البحث، ويبدو أنّ تفسير الطّبري اهتمّ به علماء اللّغة، وتتبّعوا عباراته ومفرداته، فظهر صحّته وسلامته من جهة اللّغة والنّحو، فضلا عن أسبقيته في صحة الرّواية والدّراية، فهذا أبو عم الزاهد غلام ثعلب يقول فيه: "قابلتُ هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، فما وجدتُ فيه حرفاً خطأ في نحو أو لغة"، ويستصعب محمود

شاكر تحقيق الكتاب بعد اطّلاعه على هذه العبارة فيقول: "وأنّى لمثلي أن يحقّق كلمة أبي عمر في كتاب أبي جعفر!".

– يُشير العلامة أحمد شاكر إلى صعوبة تحقيق الكتاب، وإلى أهلية أخيه محمود وأسبقيته في الاضطلاع بهذا العمل الشاق؛ فيقول: "وكنت أخشى الإقدام على الاضطلاع بإخراجه وأُعظمه، عن علم بما يكتنف ذلك من صعوبات، وما يقوم دونه من عقبات، وعن خبرةٍ بالكتاب دهرا طويلا: أربعين سنة أو تزيد، لولا أن قوّى من عزمي، وشدّ من أزري، أخي الأصغر الأستاذ محمود محمّد شاكر، وهو فيما أعلم خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء، وأن يقوم بهذا العمل حقّ القيام، أو قريبا من ذلك، لا أعرف أحداً غيره له أهلا".

– لقد قام محمود شاكر وأخوه أحمد شاكر مشكورين بتخريج الروايات الّتي وردت فيه، وبتحقيق الألفاظ، ونسبة الأشعار، والأقوال إلى أصحابها، والمراجعة على النسخ الخطية والمطبوعة، وأهم من ذلك فتح مغاليق الجمل، بما عنا به من ترقيم وفواصل، وذلك لكثرة ما جاء في كلام الطبري من جمل اعتراضية استطراديّة، وفواصل طويلة، تعرقل القارئ عن متابعة القراءة، أو تحول بينه وبين الفهم الصّحيح، بحيث يقوم الشيخ أحمد شاكر بدراسة الأسانيد والحكم عليها من حيث الصّناعة الحديثية، ويقوم محمود شاكر بالباقي: مقابلة النسخ المخطوطة والمطبوعة، وتحقيق النص، ومراجعته على كتب التّفسير الّتي نقلت عنه، وتخريج الأقوال والشّواهد الشّعرية وشرحها، ووضع علامات الترقيم وتفصيله، وضبط النص وما يتعلق بذلك من شرح غريب ونحو ذلك.

– جعل النّسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم 100، أصلا لنشر هذا الكتاب، أما سائر النّسخ المخطوطة الأخرى فهي سقيمة رديئة، لم تنفع في قليل ولا كثير، فضلا على أنّها قطع صغيرة، لذلك لجأ إلى مراجعة ما في تفسير الطبري من الآثار على كتاب الدر المنثور للسيوطي وفتح القدير للشّوكاني، لأنهما يكثران النقل عن الطبري، وهذا لتصحيح النّص المحقق والتّثبّت منه، وهو بهذا عمل يدلّ على ذكاء كبير

وجهد مضن، فالبحث عن النّص الأصلي عند ندرة النّسخ، أو فقدانها، أو استحالة قراءتها، بالرّجوع إلى المظانّ التّي صرّحوا فيها بنقل النّصّ المراد تحقيقه متعيّن على المحققين للوصل إلى النّصّ المفقود.

– شواهد تفسير الطبري الشعرية من أبرز ما في التفسير، وهي تزيد على ألفي شاهد (2000) شعري، وقد قام المحقق محمود شاكر رحمه الله بتتبع شواهده في دواوين العرب، ونسب ما لم يكن منسوبا، وشرحها شرحاً جيداً، وحقق ما يحتاج إلى تحقيق من قصائدها، ملتزماً في ذلك الاقتصار حسب الاستطاعة.

– وضع بعض الفهارس الفنية لهذا التّفسير: فهرس الآيات، فهرس ألفاظ اللغّة، فهرس مباحث اللّغة، فهرس الرّجال، ولم يسعفه الوقت والجهد لاستكمال فهارس الأشعار وغيرها، وقد أعيد تحقيقه كاملا بدار هجر على يد عبد الله التركي في خمسة وعشرين مجلدا.

5. قائمة المراجع:

– ابن جرير، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية تصويرا عن نسخة دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.

– الحسن، محمّد علي، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 2000م.

– الخطيب، محمّد عجاج بن محمد تميم، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، ط19، 2001م.

– الرّومي، فهد ين عبد الرّحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، ط12، 2003م.

– العنزي، عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علون القرآن، مركز البحوث الإسلامية، لندن، ط1، 2001م.

– المزيني، خالد بن سليمان، المحرّر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التّسعة (دراسة الأسباب رواية ودراية)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 2006م.

– مولوي قربان، محاسن بنت أحمد بن محمود، آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، رسالة ماجستير، إشراف: عليان بن محمد الحازمي، كلية اللغة العربية، قسم اللغة والنحو والصرف، جامعة أم القرى، سنة 1430هـ.

– النمر، عبد المنعم، علم التّفسير كيف نشأ وتطور، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1985م.

– الشهري، عبد الرحمن، محمود محمد شاكر وتحقيق تفسير الإمام الطبري –رحمه الله–، موقع ملتقى أهل التّفسير، http://aboufehr.com/%D8%A2%D8%B1%D8%A7%D8%A1 (2017/01/01م):

6. الهوامش

[1] – انظر: الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، ط19، 2001م، هامش ص 135، 136.

[2] – انظر: المزيني، خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التّسعة (دراسة الأسباب رواية ودراية)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 2006م، 62/1، وانظر: العنزي، عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علون القرآن، مركز البحوث الإسلامية، لندن، ط1، 2001م، ص 327.

[3] – انظر: الحسن، محمّد علي، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 2000م، ص 261، نقلا من: الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي، 190/2.

[4] – النمر، عبد المنعم، علم التّفسير كيف نشأ وتطور، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1985، ص 106 وما بعدها.

[5] – انظر: الوهيبي، عبد الله بن إبراهيم، التفسير بالأثر والرأي وأشهر كتب التفسير فيهما، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج7 ص 213.

[6] – تفسير الطّبري، 12/1.

[7] – الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، ط19، 2001م، ص 135.

[8] – المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن، 63/1، وانظر: الرّومي، فهد ين عبد الرّحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، ط12، 2003م، ص 155.

[9] – نفسه، ص 109. وانظر: تفسير الطّبري، 13/1 (مقدّمة المحقق).

[10] – تفسير الطبري، 11/1 (مقدمة المحقق).

[11] – المرجع نفسه، 11/1.

[12] – المرجع نفسه، 12/1.

[13] – ابن جرير ، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 6/1.

[14] – المرجع نفسه، 10/1، 11.

[15] – المرجع نفسه، 14/1.

[16] – المرجع نفسه، 11/1.

[17] – المرجع نفسه، 11/1، 12.

[18] – المرجع نفسه، 12/1.

[19] – المرجع نفسه، 14/1.

[20] – المرجع نفسه، 18/1، 19.

[21] – المرجع نفسه، 13/1.